هو الباعث لها على الانقياد والاستسلام لرضى الدول اذا ما انتشبت بينها وبينهنّ الخصامات. فتراعا قبل كل شيء تحاول حفظ الهدوء والسلام بين رعاياها في الهند وفي ظلّ حراستها قد زاد عدد السكان ثلاثة اضعاف في مدة قرن واحد وهم لا يقلّون اليوم عن ٣٠٠ مليون. اعني انهم يكادون يبلغون عدد سكان اوربة كلها

٣ اوقيانية

لم يجر فيها امر جدير بالذكر سوى ما سبق شرحهُ عن جزائر هاواي. امّا الحرب التي استعرت نيرانها في جزائر الفيليبين وفي أتشين بجزيرة سوماترا فقد اوشكت ان تخمد وخلاصة ما تقدّم ان السَّنَة ١٨٩٧ وان تعدّدت فيها المآثر الجغرافية لم يجر فيها شيء من الاكتشافات الخارقة العادة. فلم يقم فيها رحّالة كليفنغستون او مسفار كستانلي. وما اتّسمت به هذه السنة ان الدول ارسخت قدمها في مستعمراتها واوسعت نطاق اعمالها في البلاد المجاورة لها مع تقوية نفوذها في الممالك الاجنبية. ولعلّ الروسيّة هي التي اصابت في ذلك قصب السبق. وما من احد ينكر انّ لها في الصين وبلاد الحبش الكلمة الراجحة. ويُستشفّ من وراء الاحوال السياسية انها عمّا قريب تتولّى على قورية وعلى قسم من بلاد المندشوري الصيني

وفي اوربّا قد نالت الحكومة العلية بعد انتصارها على اليونان ان تتنازل لها هذه الدولة عن قسم من تخوم تسّالية. امّا الدنيرك فانها تسعى لدى الدول بان تُشهر كبلاد تُحايدة لا يسوغ لدولة انتهاك حماها. والمظنون ان الدول ستابي طلبها

في افريقية وحدها قد تغيّرت رسوم الخارطة وسوف يزيد ايضاً هذا التغيير في تحديد تخومها لانهُ لا قارة غيرها يمكن فيها استملاك بلاد جديدة. ونحن نتوقع للسَّنة الحالية اموراً خطيرة في اواسط افريقية

كتاب تاريخ بيروت

(تابع لما قبل)

قال ياقوت الحموي في كتاب معجم البلدان : خرج من بيروت بشر كثير من اهل

العلم والرواية. قال المؤيد في كتاب تقويم البلدان (١ . بيروت مدينة جليلة . (وقال) قال ابن سعيد : هي فُرضة دمشق . ويقال انّ بيروت دار صناعة دمشق وبها عمّر معاوية المراكب وجهّز فيهم الجيش الى قبرس ومعهم امّ حرام واسمها الرُّميصاء (٢ بنت ملحان زوجة عبادة بن الصامت رضي الله عنهما فلمّا رجعت رابطت ببيروت وماتت بها . ويقال ان في بيروت قبور جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ولكن ما اشتهر بها غير قبر الاوزاعيّ . وممّن ذكر بيروت في شعره الوليد بن يزيد بن عبد الملك الخليفة الامويّ فقال :

اذا شئتُ تصابرتُ ولا اصبرُ ان شئتُ
ولا والله لا يَصبرُ في البرّيّة الحوتُ
ألا يا حبّذا شخصٌ حمتْ لُقياهُ بيروتُ

وممّا ذكره المؤرخون انهُ في سنة خمس واربعماية (١٠١٥ م) اقطع الحاكم بامر الله (٣ (7^{2}) خليفة مصر صورَ وصيداء وبيروت للفتح (٤ عوضاً عن حلب ولقّبهُ مباركَ الدولة وسعدَها وكان ارتفاع (٥ الثلاثة اماكن المذكورة ثلاثمائة الف دينار

وممّا ذكروه ايضاً انهُ في شهر ذي القعدة سنة ثمان واربعين واربعماية (١٠٥١ م) اقطع المستنصر بالله (٦ خليفة مصر عكّا وبيروت وجبيل لمعزّ الدولة (٧ محمود (٨

---

١) في الصفحة ٢٤٧ من طبعة باريس

٢) وفي كتاب اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير (٥ : ٥٧٤) انّ اسمها الرُّميصاء . (قال) وقيل الغميصاء ولا يصحّ لها اسم . . . توفّيت سنة ٢٧ ه (٦٤٨ م)

٣) تولى الامر من سنة ٣٨٦ ه الى ٤١١ (٩٩٧ — ١٠٢١ م) وهو صاحب الدروز

٤) كان الفتح هذا دودار قلعة حلب في خدمة صاحبها ابي نصر بن لؤلؤ فجرت وحشة بينهُ وبين استاذه فصيّرهُ واستولى على القلعة وكاتب الحاكم بامر الله فارسل الحاكم نوّابهُ فتسلّموا المدينة من فتخ وأعطاهُ الخليفة عوضها صور وصيداء وبيروت

٥) نظنُّ ان المؤلف يريد بالارتفاع ما ندعوهُ اليوم بالخراج او الاموال الاميريّة والجزية

٦) تولّى المستنصر من سنة ٤٢٧ ه الى ٤٨٧ (١٠٣٥ — ١٠٩٤ م)

٧) هو ابو علوان ثمال بن صالح بن مرداس كان ابوهُ صالح من امراء العرب فلمّا توفّي سنة ٤٣٣ (١٠٤٤ م) الدزبري صاحب حلب سار ابنهُ ابو علوان اليها وتملّكها وتلقّب بمعزّ الدولة . ثمّ نزل المعزّ للمستنصر سنة ٤٦٨ عن حلب فاقطعهُ عوضها جبيل وعكّا وبيروت

٨) لم يكن اسم معزّ الدولة محمودًا بل ثمالًا كما مرّ . وانما محمود هذا هو ابن اخي معزّ الدولة . فلمّا لم يرضَ بان ثمالًا تنزّل للمستنصر عن حلب جمع قومهُ بني كلاب واسترجع المدينة سنة ٤٥٢ ه (١٠٦٠ م)

صاحب حلب عوضاً عن حلب واخذ حلب منهُ. ثم استرجع اقاريب محمود حلب من عمّال المستنصر فاستعاد المستنصر الثلاثة اماكن من محمود. وكان الذي يقوى على دمشق يملك على السواحل حسب ما ذكرهُ المؤرخون. ولولا خوف الاطالة لذكرتُ ذلك

فتوح الفرنج لبيروت

فلم تزل بيروت في ايدي المسلمين من الفتوح الاول المذكور تنتقل من دولة الى دولة والمسلمون بها على احسن حال واسرّ بال حتى نزل بها بغدوين الفرنجي (١ الذي ملك القدس وكثيرًا من مدن الساحل في جموعهِ وحشودهِ وحاصرها حصاراً شديداً حتى فتحها عنوةً بالسيف في يوم الجمعة الحادي والعشرين شوّال سنة ثلاث وخمسمائة (١١١٠م) واستولى عليها قتلاً واسرًا ونهباً. فالامر لله ما شاء فعل

وينبغي ان نذكر طرفاً من كيفية اخذ الفرنج للبلاد لتقرب قضية بيروت الى فهم الواقف على هذه التذكرة

فوجب استيلاء الفرنج على البلاد التي اخذوها من المسلمين (٢ هو انهُ لمّا قويت دولة بني سلجوق (٢ ضعفت حال الخلافة ببغداد. فلمّا مات ملكشاه السلجوقي (٣ سنة خمس وثمانين وار بعمائة (١٠٩٣ م) وقع الخلف بين ولديهِ محمّد (٤ وبَرْكياروق (٥ ودام الحرب بينهما نحو اثنتي عشرة سنة فاضطربت ممالك الشرق لذلك. ووافق ذلك خلافة الآمر باحكام الله (٦ بمصر وكان صغيرًا. ولمّا كبر كان مستهترًا بالملكة فيهذين

١) هو ثاني ملوك الفرنج في القدس تولى الامر بعد اخيهِ غدفريد وتوفي سنة ١١١٩ م

٢) يريد دولة بني سلجوق المالكين في العجم وتفرّعت هذه الدولة وملك منها فرعٌ في بلاد الروم وفرع آخر في كرمان

٣) هو معزّ الدين ملك شاه بن الب ارسلان ملك العراق وخراسان وكرمان وخوارزم والارمن والكرج وما بين النهرين الى شمالي سورية. تولى الامر سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ م) وتوفي سنة ٤٨٥ (١٠٩٢)

٤) هو غياث الدين محمد ثالث اولاد معزّ الدين ملك شاه توفي سنة ٥١١ هـ (١١١٨م)

٥) هو ركن الدين بركياروق اكبر اولاد ملك شاه حارب اخاهُ محمّد زمناً طويلاً وتوفي سنة ٤٩٨ (١١٠٥ م)

٦) هو الآمر باحكام الله المنصور ولد المستعلي تولّى الخلافة سنة ٤٩٥ (١١٠١ م) وقتل سنة ٥٢٤ (١١٣٠ م)

الحالين صار الوقت للفرنج كما يقول المثل : « خلا لكِ البرُّ فبيضي واصفري (١) »

ثم وصلت جموع الفرنج في البرّ الى انطاكية فملكوها في جمادى الاوّل سنة احدى وتسعين واربعمائة (١٠٩٨ م). ثم اخذوا القدس في شعبان سنة اثنتين وتسعين واربعمائة (١٠٩٩ م) واستولوا في طريقهم من انطاكية الى القدس على اماكن كثيرة بعد قتال شديد. وقُتل من المسلمين على انطاكية وفي المعرّة وبالقدس ما يزيد على مائتَي الف مسلم. ثم بعد ذلك تزايد مَدَد الفرنج من البحر الى السواحل وانضمّوا الى الفرنج الذين حضروا من البرّ واستولوا على مدينة بعد اخرى حتّى اتوا على ساحل الشام جميعهِ وعلى غيرهِ من البلاد وفي جملة ما اخذوهُ بيروت كما ذكرنا

قال صاحب كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النوريّة والصلاحيّة (٢) : كانت قد قويت شوكة الفرنج في عهد ولاية زنكي والد نور الدين محمود العادل. وخمدت همّة المسلمين وامتدّت مملكة الفرنج من ناحية ماردين الى (كذا) عريش مصر. ولم يتخلّصهُ من ولاية المسلمين غير حلب وحماة وحمص وبعلبكّ ودمشق. وكانت سراياهم من ديار بكر الى آمد ومن ديار الجزيرة الى نصيبين ورأس عين. واما اهل الرقّة وحرّان فكانوا معهم في ذلّ وهوان. وكانت الرُّها وسروج وغيرها من ديار الجزيرة للفرنج وكانوا يأخذون الخراج من مجاوريهم. ومع ذلك قد ذكر كثير من المؤرّخين ما اتّفق في حصار الفرنج لحلب وحمص ودمشق وما جرى على مصر من الفرنج حتّى كادوا يستملكونها

وبعد ذكرنا ذلك ينبغي ان نذكر لمعةً مختصرة في موجب قهر الفرنج واخذ البلاد منهم ليكون ذلك قاعدة لمعرفة فتوح بيروت

---

١) والمعروف « خلا لكِ الجوّ » وهو مثل قالهُ طَرَفة الشاعر وكان نثر حبًّا ليصطاد القنابر فلم تقترب اليهِ ما دام الفخّ منصوبًا فلمّا رفعهُ تواردت عليهِ القنابر يلقطهُ فقال :

يا لكِ من قُنبرةٍ بِمَعْمَرِ قد رحل الصيّادُ عنكِ فابشري
خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصفري ونقّري ما شئت ان تنقّري

٢) الفَهُ الشيخ شهاب الدين ابو محمّد عبد الرحمان المقدسي. امّا ما استشهد بهِ هنا المؤلف فلم يروهِ بحرفهِ وانما روى معناهُ فقط (راجع الجزء الاول ص ٣٠ من كتاب الروضتين طبعة وادي النيل بالقاهرة سنة ١٢٨٧)